The Invention Of Writing In Nile valley [c.3100 BC]

Katia Jary*

(Received 27 / 2 / 2020. Accepted 21 / 9 / 2020)

□ ABSTRACT □

Ancient Egyptian reached to invention the writing as a way to express on his ideas about 3100 BC by writing he recorded the important events ,customs and traditions in his life ,by various graphics that included letters had status of intellectual ,photographic, and symbolic ,it was used over Ancient Egypt history .These letters have taken characters of ;humans, animals, plants, tools, and various characters of Ancient Egyptian human environment , that was wrote on temples, tombs, stone tablets, papyrus, woods ,pottery, seals. Egyptians considered it made by Gods ,so they looked to it as divine writing so called it "medut netcher" it means word of God .Then later Greeks called it "Hieroglyphic" it means holy engraving .According to the view of researcher Hieroglyphic belong to the "Afro-Asiatic" family. The historical stages of Hieroglyphic had development in its form and structure ;began to Hieratic line, Demotic line, then Coptic line.

Keywords: Nile valley, Engraving, Papyrus, Thoth, Rosetta stone, Champollion.

***Master, History Section, Faculty Of Art, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

اختراع الكتابة في وادي النيل [3100 ق.م تقريباً]

كاتيا جري*

(تاريخ الإيداع 27 / 2 / 2020. قبل للنشر في 21 / 9 / 2020)

□ ملخّص □

توصل المصري القديم لاختراع الكتابة كوسيلة للتعبير عن أفكاره، وذلك حوالي3100 ق.م، وبوساطتها سجل الأحداث الهامة في حياته، عاداته وتقاليده، معبراً عنها برسوم مختلفة شملت حروف ذات سمة فكرية تصويرية رمزية استخدمت على مدى تاريخ مصر القديمة، وقد اتخذت هذه الحروف شكل إنسان، حيوان، نبات، أدوات وصور مختلفة من بيئة الإنسان المصري القديم، كتبها على جدران المعابد والمقابر، وعلى الألواح الحجرية، وورق البردي، الفخار، الأخشاب والأختام.. وقد عدها المصريون القدماء من صنع الآلهة، فنظروا إليها نظرة تقديس لذلك أطلقوا عليها اسم "ميدت نتر" أي كلمات الرب. أما تسمية الكتابة المصرية القديمة بـ "الهيروغليفية" فهي تسمية يونانية تعني النقوش المقدسة. وحسب آراء الباحثين تنتمي الهيروغليفية إلى العائلة اللغوية "الأفرو– آسيوية". وقد مرت خلال مراحلها التاريخية بتطورات في شكلها وبنيتها هذه التطورات بدأت بالخط الهيراطيقي ثم الديموطيقي ثم القبطي.

الكلمات المفتاحية : وادي النيل، نقش، بردي، تحوت، حجر رشيد، شامبليون.

* **ماجستير– قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين– اللاذقية– سورية.**

مقدمة

اخترع الانسان القديم أول كتابتين عُرفتا في التاريخ هما، الكتابة المسمارية*Cuneiform writing [1] التي ظهرت في وادي الرافدين Mesopotamia، والكتابة الهيروغليفية Hieroglyphic writing التي ظهرت في وادي النيلNile Valley، من ثم ارتبطت الكتابة، بوصفها جزءاً من الثقافة، ارتباطاً وثيقاً بالتطور الحضاري العام للشعوب، وباتت تضطلع بمهمة عظيمة في التاريخ المبكر للإنسانية إلى جانب المنجزات الحضارية الأخرى. والمعلومات عن تلك الكتابات القديمة جاءت من أبحاث العلماء في الآثار والوثائق الكتابية (الهيروغليفية، المسمارية)، إذ اعتمدوا على تحليل أسماء الأعلام الشخصية وأسماء الأماكن، فنجد مثلاً العديد من الوثائق المصرية القديمة** التي زودت الباحثين معلومات عن الكتابة المسمارية ومفرداتها، وجميعها كانت ذات أهمية حيوية لإعادة بناء الصورة التاريخية للحضارات القديمة.

بدأت أنماط الكتابات القديمة تصاوير وأشكالاً مختلفة للموضوعات المراد التعبير عنها، ثم تطورت إلى صور مختزلة لهذه الأشكال، حتى جردت وتحولت مع مرور الزمن إلى أحرف تختلف نطقاً وعدداً بحسب طبيعة اللغة وتطورها. والمتفق عليه أن ثمة أصولاً أربعة لجميع أنواع الخطوط المستخدمة في العالم الآن: الخط المصري، الخط المسماري، الخط الحثي، والخط الصيني. والجدير ذكره رموز الحضارات الأخرى كحضارة الإنكا والأزتيك في القارة الأمريكية التي لم تفك بعد ولم ترجع إلى أصل من هذه الأصول ، كما لم يتقرر ما إذا كانت هي ذاتها أصلاً خامساً.

في وادي النيل، وهو موضوع حديثنا الآن، في عام 3100 ق.م تقريباً أسس ملك مصر العليا ويدعى "مينا" – بحسب آراء أغلب الباحثين– الأسرة الملكية المصرية الأولى بعد توحيده مصر السفلى ومصر العليا تحت اسم واحد هو مملكة مصر***، من ثم توحدت شعوب وادي النيل في ظل حكم هذا الملك، و إن هذا الشعب بدون أدنى شك هو من اخترع الكتابة الهيروغليفية وجمع قواعدها... يعرض هذا البحث نشأة الكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية) وتطورها التدريجي، ويبين أهمية اختراعها وتأثيرها الاجتماعي، كما يتطرق البحث الى أهمية اكتشاف "حجر رشيد" Rosetta stone وفك رموزها... إذاً هذا البحث ليس مختصاً بقواعد اللغة المصرية القديمة بل يقدم نظرة عامة حول الكتابة ودورها البناء في المجتمع المصري القديم مزوداً ببعض الأمثلة والرسوم.

أهمية البحث وأهدافه :

تكمن أهمية البحث بالتعرف على تاريخ الكتابة "الهيروغليفية" التي تعد إحدى أقدم الكتابات في التاريخ البشري، فالكتابة تمد الباحثين بما يرغبون معرفته عن الحياة الفكرية للإنسان القديم وتاريخه، تلك المعرفة تعد الأساس لتوعية الأجيال بحضارة أجدادهم وآثارهم ومنجزاتهم، فتعلم اللغات القديمة يربط الإنسان بتاريخه الحضاري القديم.

---

[1]*استخدمتها شعوب وادي الرافدين (نهري دجلة والفرات) من سومريين وأكاديين بابليين آشوريين.. وسميت بالمسمارية لان حروفها نقشت بوساطة قلم خشبي مدبب الرأس على شكل المسمار .

****كرسائل تل العمارنة، و تل العمارنة موقع في مصر العليا على الضفة الشرقية للنيل، عثر فيه على المراسلات المتبادلة بين ملوك مصر زمن المملكة الحديثة وأمراء الممالك التابعة لهم في الشرق (سوريا– بابل..)،هذه المراسلات المكتوبة باللغة الاكادية الخط المسماري ساهمت في تكوين فكرة واضحة عن تاريخ المنطقة أوائل القرن 14ق.م.**

***** دعيت المملكة التي نشأت في وادي النيل بـ "كمت" أي الارض السوداء(الخصبة)، و "د شرت" أي الأرض الحمراء(الصحراء)، و "ايجبيتس" كلمة يونانية من الأصل المصري "ايجو بتاح" وتعني التل الازلي، وغيرها من المسميات القديمة ...أما اسم "مصر" فقد ذكر لأول مرة في وثيقة تعود للقرن 14 ق.م(وثائق تل العمارنة)، كما ذكر في الكتب المقدسة (التوراة والقرآن).**

منهجية البحث:

اعتمد الطالب على منهجية البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من مصادر ومراجع تفيد موضوع البحث، ودراستها وتحليلها ونقدها، والمقارنة بينها بما يخدم البحث، من ثم استخلاص الأفكار المناسبة للوصول إلى نتائج مقاربة للحقيقة التاريخية، وسيتم تزويد البحث بصور النقوش والرسومات لتوضيح المعلومات وتأكيد صحتها.

النتائج والمناقشة:

1- ظهور الكتابة الهيروغليفية واختلاف الفرضيات حول أصولها:

في المجتمعات البدائية، عندما ازدادت التجمعات السكانية وازدادت الأنشطة اليومية والتواصل فيما بين السكان كان على الإنسان أن يتبنى وسيلة ثابتة للتعبير عن أفكاره وتسجيل أحداث حياته اليومية[2]. ومن الوسائل البدائية لنقل المعلومة وحفظها وفهمها هي الكتابة بالموضوعات (بالفكرة)[3]، مثال ذلك ما ذكره "هيرودوت" **Herodotus** الرحالة والمؤرخ اليوناني الشهير عن مضمون رسالة دونت بالموضوعات على قطعة خشبية بعثتها قبائل "السكيت" إلى "داريوس" ملك الفرس قبل خوض القتال معه اشتملت الرسالة على رسم عصفور وفأر وضفدع وخمسة سهام، فقام "جوديا" مساعد الملك "داريوس" بتفسير مضمونها: " أيها الفرس إذا لم تتواروا بالسماء كالعصافير، أو تختبئوا في الجحور كالفئران، أو تقفزوا في الماء كالضفادع فسوف تكونون هدفا لسهامنا". كما استخدم الإنسان البدائي الكتابة الصورية الرمزية: تشبه الكتابة الموضوعية ولا علاقة لها بفن الرسم، وقد نقشت على الحجارة، والألواح الخشبية، والألواح الفخارية..، ومثال عن الكتابة الصورية الرمزية نجده لدى شعب الأزتيك حيث القوس والسهم رمزاً للحرب، والجمجمة رمزاً للموت[4].

أما في وادي النيل، فقد دلت القطع الأثرية العائدة لعصر ما قبل الأسرات* والمنقوش عليها بالكتابة الهيروغليفية، على أن هذه الكتابة ظهرت منذ الباكر، وأشهر تلك النقوش لوحة الملك "نعرمر" التي تضم نقوش هيروغليفية، ما يدل على أن الهيروغليفية كانت مستخدمة قبل تأسيس الأسرة الملكية الأولى في وادي النيل حوالي3100 ق.م[5]. ويرى بعض العلماء أن المصري القديم في البداية عندما كان يرسم شكلاً ما، فهو يقصد ويعني به الشكل المرسوم نفسه، بمعنى آخر إذا رسم أسد فهو يقصد الأسد. وبعد توحيد مصر السفلى ومصر العليا تحولت تلك الرسوم إلى حروف هجائية، وبذلك أصبح المصري القديم يرسم أشكال الحروف الهجائية الهيروغليفية منذ بداية تاريخه الذي سجله بكتاباته، على سبيل المثال: كانت البومة ترمز للبومة نفسها، من ثم أصبحت البومة تمثل الحرف– م– m...وهكذا[6].

---

[2] نور الدين، عبد الحليم. تاريخ وحضارة مصر القديمة، د.ن، 2003م، ص445.

[3] فريدريش، يوهانس. تاريخ الكتابة، ص36.

[4] فريدريش، يوهانس. تاريخ الكتابة، ص42.

***أو عصور ما قبل التاريخ أي ما قبل معرفة الإنسان بالكتابة وهي في مصر القديمة تمثل عصور ما قبل عصر الأسرات اي قبل توحيد الملك المصري مينا إقليمي مصر السفلى ومصر العليا وبتأسيسه الأسرة الأولى بدء التاريخ المكتوب لمصر حوالي3100 ق.م، كما تعرف أحياناً بالعصور الحجرية نظراً لاستخدام الحجر في صناعة أدوات تلك العصور.**

[5] حماد، محمد. تعلم الهيروغليفية (لغة مصر القديمة)، الهيئة المصرية العامة للكتابة، القاهرة، 1991م، ص19.

[6] حماد، محمد. تعلم الهيروغليفية، ص31.

في القرن الماضي قامت العديد من الدراسات على عدد من اللغات في شمال افريقية وتضم المصرية، التشادية، البربرية، الكوشية...، أدت تلك الدراسات لاقتراحات جديدة حول وجود عناصر نحوية ومعجمية مشتركة فيما بين لغات شمال افريقية من جهة، وعناصر مشتركة بينها وبين اللغات السومرية، الاكادية، العبرية، العربية.... من جهة أخرى، فأطلق الباحثون على هذه المجموعة من اللغات بعائلة اللغات "الأفرو– آسيوية" **The Afro- Asian Family**..[7]. حيث تأتي درجة التأثر والتأثير في اللغات بمدى العلاقة بين المجتمعات، سواء بالاتصال مع المجتمعات في الخارج، أو الاتصال في الداخل بين السكان الأصليين وبين الجماعات الأجنبية التي تعيش بينها، فيبدأ بذلك التبادل الثقافي الذي يؤدي إلى تداخل وتأثر بين اللغات[8].

إلى يومنا هذا يدور نقاش حول أصول الكتابة الهيروغليفية، وهل هي أقدم نظام كتابي أم النظام الكتابي المسماري السومري. وفي الفترة الأخيرة تحوم شكوك كثيرة حول الافتراض القائل بـ "أحادية أصل التطور اللغوي" الذي يقترح أن جميع نظم الكتابة تطورت عن سلف سومري مشترك. وهناك نظريات تقترح أن الكتابة المصرية التي ظهرت عند مستهل عهد الأسرة الأولى لم تكن كتابة بدائية، إذ أن لها في الواقع تركيباً معقداً تتضمن ثلاث أنواع من الإشارات: 1– صورية ترمز لفكرة (كأن نرسم الشمس للدلالة على النهار)، 2– رموز صوتية (كأن نرسم شجرة للدلالة على نطق حرف الشين)، 3– مخصصات (تكتب ولا تلفظ وظيفتها مساعدة القارئ على تحديد معنى الكلمة التي سيقرئها). وبذلك وجد باحثون في هذا النظام الكتابي التعقيد نفسه الذي احتواه نظام الكتابة في بلاد الرافدين، ولا يمكن إنكار الشبه بين نظامي الكتابة في مصر والعراق القديمين، لكن الإشارات الكتابية (الهيروغليفية) التي اخترعها المصري القديم لا علاقة لها على الإطلاق بالإشارات الكتابية في بلاد الرافدين، فقد أحب المصريون الصور وكان لهم ميل قوي نحو الملموس، جعلهم يستخدمون الصور الدقيقة لما حولهم كإشارات كتابية ويحتفظون بها[9]. وبناءً على ذلك برزت الفرضيات التي تقول انه على الرغم من التقارب بين نظامي الكتابتين الهيروغليفية والمسمارية، إلا أن هذا التقارب لا يعني أن المصريين القدماء قد اقتبسوا الكتابة الهيروغليفية من الشعوب الأخرى، بدليل أن آثار هذه الكتابة عثر عليها فقط في وادي النيل[10]، ضف الى ذلك أن المصرية القديمة تضمنت في مرحلتها التصويرية (الهيروغليفية) حيوانات ونباتات وادي النيل، ولم تتضمن عناصر دخيلة واضحة، وظلت ترمز طيلة عهدها إلى ثروات، ومنشآت، وآلهة مصرية، جميعها نشأت في البيئة المصرية التي حافظت على عناصر كتابتها التصويرية حوالي 3000 عام، بلغت خلالها غاية الاكتمال الفني والتعبيري، وبالتالي كان الأولى أن تصور هذه الكتابة وتكتمل تطوراتها في بيئتها الأصلية لو صح أنها كانت من تراث شعب آخر غير الشعب المصري[11]. كما ظهرت فرضيات حديثة تعزز تأييد الأصل المستقل للكتابة المصرية بعد اكتشاف البطاقة العاجية في مدينة ابيدوس المصرية* والتي ترجع حوالي عام 3100 ق.م، ويتبين من خلال تحليل نقوش البطاقة الاستخدام الصوتي للحروف الهيروغليفية مقابل الصور التي تمثل أفكاراً،

[7] Edwards, I.E.S. The Cambridge Ancient History.p.132

[8] Edwards, I.E.S. The Cambridge Ancient History.p125

[9] فرانكفورت، هنري. فجر الحضارة فجر الشرق الأدنى، تر. ميخائيل خوري، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص146.

[10] زكي، انطون. مفتاح اللغة المصرية القديمة، ص117 .

[11] صالح، عبدالعزيز. حضارة مصر القديمة وآثارها، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ج1، 1992م، ص265.

* نُقش على البطاقة العاجية صورة طائر يشير الى الصوت _يا_ ba وعلامة أخرى تشير للصوت ست –st والتي تنطق باست , st–ba وهو الاسم القديم للمدينة

ورغم ذلك فمن الصعب التأكيد أيهما اسبق النظام الكتابي الهيروغليفي أم النظام الكتابي المسماري[12]. وبالعموم إن الاعتقاد السائد هو أن المسمارية أقدم من الهيروغليفية.

الشكل رقم (1) لوحة الملك " نعرمر" نقش عليها كتابة هيروغليفية تتحدث عن توحيد مصر والحروب بين مصر العليا والسفلى –المتحف المصري–

الشكل رقم (2) رقيم طيني نقش عليه كتابة مسمارية تتحدث عن قصة الطوفان –مدينة نفر الأثرية–

2– أهمية اختراع الكتابة

جاءت الكتابة عبر الزمن لصياغة ذاكرة الإنسان[13]، فهي تعد من أهم الانجازات الإنسانية لأن ظهورها فرز الشعوب إلى قسمين: شعوب متحضرة مالكة للمعرفة، وشعوب فاقدة لها[14]. وارتبطت الكتابة، بوصفها جزءاً من الثقافة، ارتباطاً وثيقاً بالتطور الحضاري العام للشعوب، وباتت تضطلع بمهمة عظيمة في التاريخ المبكر للإنسانية إلى جانب المنجزات الحضارية الأخرى[15].

في وادي النيل، أعطت الكتابة القوة لمصر فبامتلاكها مقوماً جديداً لقيام حضارتها العريقة تفوق المصريون على جيرانهم من الشعوب البسيطة، أما الحضارات النافذة والتي تميزت ايضاً بامتلاكها نظام كتابي كانت بعيدة نسبياً عن حدود مصر القديمة[16]. منذ البداية استخدمت الكتابة في مصر كعنصر في الفن التذكاري مضافة للرسوم النافرة التي تذكر قصص وأساطير الأقدمين، والتي حددت ماهية الرسوم في النقوش. ولكن فيما بعد أصبحت الهيروغليفية تستخدم لأهداف عملية وتنظيمية[17]، بعدما كان ينظر للعلامات الهيروغليفية على أنها نوع من الفنون ذات الفتنة الجمالية، إثر توازن وتناسق النقوش التي زينت جدران المعابد والآثار المصرية[18].

[12] بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، تر. عاطف معتمد، محمد رزق، الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2009م، ص191.

[13] Baines, John. Literacy and Ancient Egyptian Society. Source: Man, New Series, Vol. 18, No. 3, Oxford university press. 2007.p.593.

[14] فريدريش، يوهانس. تاريخ الكتابة، ص33.

[15] فريدريش، يوهانس. تاريخ الكتابة، ص55.

[16] Baines, John. Literacy and Ancient Egyptian Society.p.576

[17] فرانكفورت، هنري. فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ص148.

[18] بريو، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص202.

كانت الكتابة بحد ذاتها حافزاً للتغيير، حيث ساهمت في إضفاء الطابع المؤسسي للسلطة الملكية الفرعونية، ومن ثم كانت عاملاً هاماً في استقرار الدولة في وادي النيل[19]، فقد ارتبط ظهور الدولة المركزية باختراع الكتابة، والحساب، وعلم الفلك، والإجراءات الإدارية المنظمة، مع ما يترتب عليها من تقسيم للعمل الذي كان مطبقاً على نطاق المجتمع ككل[20]. وكان لانتشار الكتابة والمعرفة على نطاق ضيق بين أفراد المجتمع المصري القديم أن أدى بالضرورة إلى تصنيف طبقي جديد في المجتمع بظهور فئة مثقفة قليلة العدد، نالت مكانة اجتماعية راقية بفضل كفاءتها العالية التي خولتها شغل الوظائف والمناصب الإدارية، هذه الفئة المثقفة والمميزة شكلت طبقةً وسطى توضعت بين الطبقة الملكية الحاكمة، وطبقة العامة العاملة بالسخرة تحت إشراف السلطة الملكية[21]. في البداية لم تكن الكتابة منتشرة على نطاق واسع فقد كانت مقتصرة على شؤون الدولة الإدارية والدينية، من ثم توسعت لتشمل الخطابات الرسمية والوثائق الدينية، والقانونية، والأدبية، والعلمية وغيرها، فالهيراطيقية المتطورة عن الهيروغليفية كان لها دوراً هاماً في تطور وازدهار الأدب المصري[22]، وظهور دراسات فلسفية عميقة في الدين، ما انعكس بالضرورة على ازدهار الحياة الفكرية، وتقدم العلوم*،. فقد ساهمت في اختراع التقويم الذي كان قد عرف سابقاً، لكن بفضل الكتابة أصبح علماً له أسس ثابتة[23]، فمنذ حوالي 5000 عام قاس المصريون القدماء منسوب مياه نهر النيل بمقاييس تُسجل وتدون لإجراء دراسات مقارنه بين المناسيب لمعرفة أحوال النهر وفيضانه السنوي، ومن خلال هذا التدبير وانتظام مراقبة النهر، استطاع المصريون أن يقرنوا عملية فيضان النهر في كل عام بالدراسات الفكية التي برعوا فيها، فاخترعوا فكرة التقويم السنوي وتقسيم السنة إلى /365/ يوماً وربع اليوم، والذي مازال مستخدماً حتى يومنا هذا[24]. وفي عصر المملكة المبكرة – السلالتان الأولى والثانية– **[3100–2700ق.م تقريباً]**، ظهرت مدونات في علم الطب والتجبير**وعلم الفلك، وأجريت عمليات لإحصاء السكان، وتم تنظيم وتوطيد السلطة الإدارية[25].. ويجب ألا نغفل عن الأهمية الاقتصادية لاختراع الكتابة، فقد كان لاستخدام نبات البردي كورق للكتابة واحتكار صناعة هذا الورق من قبل السلطة الملكية أن ساهم بالضرورة في دعم اقتصاد مصر القديمة[26].

3– رب الكتابة والمعرفة:

اعتقد المصريون القدماء أن كتابتهم من مصدر الهي، ومن المحال أن يكون هذا الاختراع من عمل البشر، وأن " **تحوت** " **Thoth** هو الذي اخترع لهم الحساب، والطب، والحكمة، والأدب، والفنون..، وهو من وضع الأحرف الهيروغليفية، وقد مثلوه على صورة إنسان له رأس الطائر "أبيس"، يحمل لوحة بيده اليسرى وقلماً بيده اليمنى، وكانوا

[19] Baines, John. Literacy and Ancient Egyptian Society.p.573

[20] سعد، أحمد صادق. تاريخ مصر الاجتماعي–الاقتصادي (مصر الفرعونية، الهللينية، الاسلامية..)، دار ابن خلدون، بيروت، ط1، 1979م، ص58.

[21] Baines, John. Literacy and Ancient Egyptian Society.p.572

[22] حسن، سليم. مصر القديمة (مدنية مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعهد الأهناسي)، ج2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1992م، ص387.

[23] مكاوي، فوزي. الناس في مصر القديمة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د،ت، ص107.

*** كالرياضيات والهندسة التي أنجزت منشآت عمرانية مذهلة أشهرها الأهرام والمعابد...**

[24] السويفي، مختار. مصر والنيل (النيل النهر والناس)،الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط2، 1988م، ص36.

****يذكر المؤرخون المصريون القدماء أن الملك زر احد ملوك الأسرة الأولى ألف بنفسه كتاباً في علم الطب والتشريح .**

[25] السويفي، مختار. مصر والنيل، ص89.

[26] Baines, John. Literacy and Ancient Egyptian Society.p.575

يناجونه ويدعونه قائلين: "تعال إلينا يا تحوت يا كاتب الآلهة العظيمة، ما أجمل صنعتك التي تخلق القوة والسعادة"[27]. وكان الكاتب المتدين يصب بعض الماء كقربان ل "تحوت" قبل البدء بالكتابة[28].

تتحدث الأساطير أن "تحوت" عندما أراد نشر المعرفة اعترض على ذلك – مجمع الآلهة العظمى–، ورأوا أنه من غير الحكمة السماح بنشر المعرفة، وأنه لابد من تقييد انتشار الكتابة بين البشر.. إلا أن "تحوت" كتب رسالة باسم الإله رع (رب الشمس)، وذلك أن رع هو من محبي تحوت ومؤيدي انتشار المعرفة، ومن خلال هذه الرسالة – التي كانت أشبه بدعابة– تمكن تحوت من نيل رضا وإعجاب الآلهة العظمى[29]. ووفقاً للعقائد المصرية القديمة إن "تحوت" رب الحكمة والمعرفة أدرك أن أصوات الكلام يمكن أن تُنقل من خلال الكتابة. وفي زمن ما في العصر البدائي حيث كانت الآلهة تعيش على الأرض انتقلت معرفة الكتابة إلى البشر... وأطلق عليها المصريون اسم "ميدت نثر" **medut netcher** = كلمات الرب[30]. كما اعتقد المصريون القدماء أن للتصاوير الهيروغليفية القدرة على القيام بدور الأشياء التي تمثلها، وذات تأثير كامن قوي مثلاً: محو نقش من مصطبة مقبرة شخص ميت تعني محو ذكراه، بالتالي محوه من الحياة الأبدية، وهذا دليل أن الكتابة والعقيدة في مصر كانتا متضافرتين بشكل لا انفصام فيه[31].

الشكل رقم (3)رسم لرب الكتابة تحوت على جدران مقبرة الملكة المصرية نفرتاري –المملكة الحديثة–

4– مواد الكتابة:

اختلف شكل الكتابة في مصر القديمة حسب الحاجة والزمن، وحسب المادة التي كتبت عليها، فنقش المصري القديم الهيروغليفية – وهي أول صوره للكتابة– على جدران المعابد والمقابر، وفي اللوحات الحجرية والخشبية، إذ كانت

[27] **زكي، انطون. مفتاح اللغة المصرية القديمة، ص12.**

[28] **مكاوي، فوزي. الناس في مصر القديمة، ص105.**

[29] **Baines, John. Literacy and Ancient Egyptian Society.p.594**

[30] **بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص191.**

[31] **بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص205.**

الهيروغليفية كتابة زخرفية تتفق مع طابع الفن المصري القديم[32]، كما نُقشت على الأختام للأمور الإدارية والوثائق القانونية وغيرها، حيث اتخذت تلك الأختام أشكال، اسطوانية، الزر، طوابع، الجعل(الخنفساء)، الخواتم المنقوشة..[33].

ومنذ عصر المملكة القديمة **[2800–2200 ق.م تقريباً]** وجد المصري أن الكتابة على الجدران تستغرق وقتاً وجهداً وحيزاً كبيرًا، فلجأ إلى اختصار الرموز الهيروغليفية إلى شكل مبسط ليوفر الجهد والمساحة، فخطها برسوم يدوية على ورق البردي[34]. واستخدم أحياناً الى جانب أوراق البردي "الاستراكا" (قطع الفخار)[35]. ومن المعروف أن المصري القديم أول من صنع من سيقان نبات البردي نوعاً من الورق، ومن هنا جاءت تسمية الورق في اللغات المعاصرة / papierبالألمانية و paper بالإنكليزية – papier بالفرنسية ..../ [36].

الشكل رقم (4) كتابة هيروغليفية على الحجر منقوشة على جدران معبد كوم أومبو

الشكل رقم (5) كتابة هيروغليفية على ورق البردي (من بردية طوالع الأيام السعيدة وغير السعيدة)–متحف هانكوك–

وكان قد استخدم المصري القديم أقلاماً من القصب يبرون أطرافها ويدببون رأسها، بالإضافة لمادة صباغية سوداء أو حمراء اللون ثابتة لا تنمحي، يكتبون بوساطتها على ورق مصنوع من لباب سيقان نبات البردي على وجه واحد من الورق..[37]. وبذلك أصبح ورق البردي المادة الرئيسة للكتابة المصرية القديمة في مختلف مراحل تطورها. ويجب أنا لا يغيب عن الذهن أن نسبة قليلة من وثائق البردي كانت قد نجت من التلف، على عكس النقوش الجدارية التي حافظت على مضمونها مع مرور الزمن[38] .

5– فك الرموز الهيروغليفية:

بدأت مرحلة جديدة في دراسة تاريخ مصر القديم بظهور علم المصريات **Egyptology***، وذلك بعد دخول الحملة الفرنسية بقيادة "نابليون بونابرت" إلى مصر عام 1798 م، من ثم العثور على "حجر رشيد" المنقوش عليه

[32] مكاوي، فوزي. الناس في مصر القديمة، ص106.

[33] Arlette, David. Identification in Ancient Egypt (2500-1100 BC). Hebrew University of Jerusalem. Article.2011.p.2

[34] مكاوي، فوزي. الناس في مصر القديمة، ص 107.

[35] بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص 199.

[36] فريدريش، يوهانس. تاريخ الكتابة، ص56.

[37] حسن، سليم. مصر القديمة، ج2، ص387

[38] Baines, John. Literacy and Ancient Egyptian Society.p.576

***علم يختص بدراسة تاريخ مصر القديمة وآثارها وحضارتها ظهر عام 1822م، واقترنت سنة ظهوره بتمكن العالم الفرنسي جان فرانسوا شامبليون بفك رموز حجر رشيد التي تم العثور عليه عام 1799م.**

بثلاث خطوط: الهيروغليفي، الديموطيقي، اليوناني (القبطي) في عام 1799م[39]. لقد حدث هذا الاكتشاف بالصدفة البحتة، ذلك أن "نابليون" كان قدم مصر كجزء من حرب فرنسا ضد بريطانية للسيطرة على الطرق التجارية، لذلك عمل "نابليون" على إنشاء دفاعات على طول الساحل المصري، فوجه الضابط الفرنسي "بيير بوشار" على رأس فرقة من المهندسين والجنود إلى قلعة قديمة شمال مدينة "رشيد"، وكانت قلعة صغيرة بحاجة للترميم فهدموا أحد جدران القلعة المتداعية، وبينما الجنود الفرنسيون يزيلون الركام وجد أحدهم حجراً رمادياً من الغرانيت، فقرر أن يأخذها لقائده "بيير" الذي بدوره قدمها إلى القائد "نابليون بونابرت"... يبلغ طول الحجر حوالي/ 1,2 م/، نُقش عليه كتابات مصرية قديمة كتبها مجموعة من الكهنة المصريين عام 196 ق.م، وهي عبارة عن مرسوم ملكي صادر عن ملك مصر آنذاك المقدوني "بطليموس الخامس" يتعلق بأوقاف المعبد كتب بثلاث خطوط(الهيروغليفي– الديموطيقي– اليوناني).. وفيه شكر موجه من الكهنة للملك "بطليموس" على المآثر الطيبة التي عملها من أجل الشعب المصري[40]. وكان قد قام بالخطوة الرئيسة لفك طلاسم الهيروغليفية العالم البريطاني توماس يانج Young** الذي حصل على نسخة من حجر رشيد عام 1814م، وبعد بحثه اكتشف أن الخط الديموطيقي المنقوش على حجر رشيد هو أساساً الشكل المختزل والمبسط (المتصل) للخط الهيروغليفي، بهذا الاكتشاف الجديد استطاع يانج أن يحدد القيمة الصوتية للعلامات التي ظهرت في الخراطيش*** وتمكن من قراءة اسم "بطليموس" بشكل صحيح[41].

بلغت أبحاث "توماس يانج" العالم الفرنسي الشاب شامبليون Champollion **** الذي كان يميل لمعرفة اللغة المصرية القديمة مستعيناً باللغة القبطية، ومستعيناً بأبحاث علماء الآثار الذين سبقوه " زويجا، اكربلاد، يانج"، وبعد بحث واستقصاء تمكن "شامبليون" من فك رموز حجر رشيد عام 1822م، وبفضل ذلك نال حظوة ومكانة كبيرة عند ملك فرنسا "لويس الثامن عشر"[42].

وبعد فك الرموز الهيروغليفية ترجم" شامبليون" –الذي لُقب بـ "المصري"– معظم النصوص الهيروغليفية المدونة على الآثار المصرية المنتشرة في متاحف فرنسا وايطاليا..[43]، حيث أعلمتنا الكتابة الهيروغليفية عن حياة المصريين القدماء عاداتهم، تقاليدهم ومعتقداتهم[44]. وكان لفك رموز الحجر أهمية كبيرة حيث زاد من المعرفة بالكتابة الهيروغليفية التي بدورها قدمت صورة واضحة منتظمة وتاريخية عن الحضارة المصرية القديمة ومنجزاتها[45]. وهكذا وضع شامبليون اللبنات الأولى في صرح الكتابة المصرية القديمة، وجاء من بعده المئات من الباحثين الذين أسهموا في استكمال بناء

[39] جارندر، آلن. مصر الفراعنة، تر . نجيب ميخائيل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م، ص24 .

[40] رويالكابا، جيل. ناشيونال جيوغرافي (تاريخ مصر القديمة)، تر. محمد ابراهيم، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2008م، ص14.

**** في عام 1799م كان هنالك صراع على مصر بين بريطانيا وفرنسا، من ثم عقدت معاهدة بين الدولتين عام 1801م، تضمنت المعاهدة في بنودها تسليم الفرنسيين الآثار المصرية إلى الانكليز، وبعدها نُقل حجر رشيد إلى المتحف البريطاني في لندن، بالتالي كان العلماء البريطانيين هم أوائل الباحثين في فك رموز الحجر وكان أشهرهم "توماس يانج" وهو عالم فيزيائي إلا انه كان يتمتع بموهبة طبيعية في دراسة اللغات منذ صغره.**

*****أشكال بيضوية صغيرة تحيط برموز هيروغليفية كدلالة على خلود الاسم الذي تحتويه.**

[41] بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص194.

******جان فرانسوا شامبليون: ولد في مدينة فيجاك الفرنسية عام1790م ، عرف منذ صغره اللغات القديمة: عبرية، ، سريانيه، عربية، يونانية..**

[42] زكي، انطون. مفتاح اللغة المصرية القديمة، ص7.

[43] السويفي، مختار. مصر والنيل، ص88.

[44] رويالكابا، جيل. ناشيونال جيوغرافي، ص18.

[45] جارندر، آلن. مصر الفراعنة، ص36.

هذا الصرح الحضاري العريق، وبمعرفة رموز الكتابة الهيروغليفية اخذ علم المصريات يشق طريقه بين العلوم الأخرى[46].

الشكل رقم (6) حجر رشيد ،سطح الحجر منقوش بثلاث خطوط : الهيروغليفي (أعلى)، الديموطيقي (الوسط)، اليوناني (أسفل)، موجود في المتحف البريطاني –لندن–

6– نظام وقواعد الكتابة الهيروغليفية :

بفضل اكتشاف شامبليون أمكن القول أن الكتابة الهيروغليفية لم تكن مجرد رسومات للدلالة عل كلمة أو شيء معين فحسب، بل كانت بالإضافة لذلك أبجدية لفظية (هجائية)[47]، استمدت معظم صورها من البيئة والحياة اليومية للمصريين كالحيوانات، النباتات، الأدوات..، فنجد مثلاً حرف الألف رسم على شكل نسر.. لم يوجد تقسيم للكلمة ولا علامات ترقيم، ويمكن أن تكتب الهيروغليفية أفقياً أو عمودياً من اليمين إلى اليسار أو من اليسار إلى اليمين[48]، وكان ما يحدد اتجاه الكتابة هو رسم الإنسان أو الحيوان، فإذا اتجه رأس الإنسان أو قدمه أو يده إلى اليمين تكون القراءة من جهة اليمين إلى اليسار .. وفي حال الكتابة العمودية تكون القراءة من أعلى إلى أسفل مع الانتباه أيضاً إلى اتجاه الإنسان أو الحيوان إذا أمكن، واحتوى نظامها الكتابي على إشارات للتثنية wy ، والجمع w ، **مثال :** **أخ sn** – **أخان snwy** – **أخوة snw**[49].

وللدلالة على المؤنث توضع بشكل رئيس علامة الأنثى ، كما تتبع الكلمة بالإشارة t تاء التأنيث. أما المذكر تدل عليه علامة ولا يضاف للكلمة أي إشارة تصنيفية مثال: إله ntr – 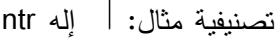 إلهة

[46] **نور الدين، عبد الحليم. تاريخ وحضارة مصر القديمة، ص458.**

[47] **حماد، محمد. تعلم الهيروغليفية، ص29.**

[48] **بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص189.**

[49] **حماد، محمد. تعلم الهيروغليفية، ص73 .**

ntrt[50]. وتضم الأبجدية الهيروغليفية العلامات الصوتية مع الصورية ويمكن أن تكون العلامات الصوتية أبجدية تنقل صوتاً واحداً مثلاً: رمز البومة م –m، ورمز الحية ذات قرنين ف– f. أو علامات مزدوجة تضم صوتين مثلاً: العين إر– ir، السمكة إن–in، أو ثلاثية تضم ثلاث أصوات مثلاً: رمز القصبة الهوائية نفر– nfr، و رمز الحياة عنخ anh .

في الهيروغليفية كان هناك أربعة وعشرون علامة أبجدية مفردة – ومئات من العلامات الثنائية والثلاثية، وكانت العلامات الثنائية والثلاثية غالباً يصحبها:1–**المكمل اللفظي:** يأتي في أول الكلمة، أو وسط الكلمة، أو آخر الكلمة مثال: كلمة يحدث– hpr خبر–، نرسم رمز الجعل (الخنفساء) كمكمل لفظي لكلمة يحدث او او . **2–المخصص:** ليس له قيمة صوتية (يكتب ولا يلفظ) يستخدم للتمييز بين الكلمات ذات الأصوات المتشابهة، مثلاً كلمة يشرق– وبنwbn – 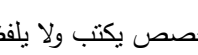 ترسم الدائرة كمخصص يكتب ولا يلفظ للدلالة على الشمس.

وتعد الكتابة الهيروغليفية نظاماً كتابياً صامتاً لا يحتوي على علامات تمثل أصوات متحركة (أحرف علة)، بالتالي لا يوجد قاعدة لنطقها، لذلك تبنى علماء المصريات قاعدة بسيطة لجعل مجموعات الحروف الساكنة قابله للنطق فأقحموا صوتاً متحركاً e – a بين كل صوت ساكن، على سبيل المثال كلمة سنب snb تنطق سينيب seneb.. واستخدموا رموزاً هيروغليفية كأحرف علة، مثلا النسر يلفظ كصوت a، والكتكوت كصوت oo [51].

ويمكن اختصار وصف الجوهر الداخلي للهيروغليفية بكونها تشمل على ثلاث رموز كتابية وهي:

1– الرموز الدالة على أفكار: عبارة عن رسوم تعبر عن مفاهيم الكائنات الحية، ورسوم تعبر عن مفاهيم ونشاطات مجردة مثلاً: الشيخوخة يعبر عنها برسم إنسان منحني الظهر يستند على عكازه . مملكة الجنوب يعبر عنها بوساطة زهرة اللوتس الذي تشتهر به مصر العليا .

2– الرموز الصوتية (المتمم اللفظي): رسوم تدل على صوت أو عدة أصوات مثال: رسم طائر السنونو له لفظ – ور– للتعبير عن كلمة عظيم wr – .

3– رموز التقييد (المخصص): رموز جامدة تكتب ولا تلفظ، لكنها تفيد كمؤشرات مساعِدة لتمييز معاني الكلمات المتشابهة بالصوت مثال: كلمة "جب" بالهيروغليفية تأتي بمعنى "جد" وبمعنى "عطش" – هنا تشابهت الكلمة بالتدوين والصوت، ولمعرفة أي من الكلمتين هي المقصودة، تتبع الكلمة برمز (رسم) لفهم المعنى، فتتبع كلمة جب gb برسم شخص للدلالة على ان المقصود هنا "الجد" [52].

[50] **Arlette, David. Identification in Ancient Egypt (2500-1100 BC). p.2**

[51] **بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي . مصر والمصريون، ص206،200 .**

[52] **فريدريش، يوهانس. تاريخ الكتابة، ص59.**

7- الكتابة المصرية القديمة وتطوراتها:

جاء تطور الكتابة عبر الزمن كحاجة ضرورية لمواكبة التغيرات الثقافية داخل المجتمع فاحتياجات التواصل متجددة باستمرار، بالتالي تؤدي إلى تغيرات في اللغة سواءً كانت متغيرات داخلية أم خارجية. وفي الواقع إن التغيرات التي حدثت في الكتابة المصرية القديمة كانت إلى حد كبير تغييراً ذاتياً في بنية الكتابة وشكلها[53].

أ- الخط الهيروغليفي Hieroglyphic:

الهيروغليفية في أساسها مجموعة من الصور، تفوق الخمسمائة، وهي صور جميلة جداً بلغت من الدقة حد الروعة لأغلب مظاهر الحياة التي تهم أهل مصر، حيوانات، بشر، أمتعة، ونباتات ومظاهر طبيعية....، وتعد لوحة الملك (نعرمر) التي يرجع تاريخها إلى أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد أقدم أثر معروف لها حتى الآن [54].

نقش المصري القديم الهيروغليفية على النصب التذكارية من آثار المعابد ولوحات المقابر.. مضمنها أهم أحداثه التاريخية، عاداته، تقاليده، وأنشطته اليومية[55]، وقد أطلق المصريون القدماء على نقوشهم باسم "ميدت نثر medut netcher" وتعني كلمات الرب كونها من مصدر الهي[56]. أما تسمية تلك النقوش بـ "الهيروغليفية" فهي تسمية يونانية جاءت حينما شاهد اليونانيون القدماء هذه الكتابة محفورة على جدران المعابد المصرية فأطلقوا عليها اسم النقوش المقدسة "هيرو= مقدس" – "غليفو= نقش"[57]. وكان الرحالة والمؤرخ اليوناني هيرودوت /القرن 5 ق.م/ هو من أطلق على الكتابة المصرية اسم النقوش المقدسة، وتبعاً له سميت هذه الكتابة لدى علماء المصريات بالهيروغليفية [58].

وانبثق عن الهيروغليفية، بحكم التطور وضرورة السرعة، خطان آخران : الخط الهيراطيقي وهو مختص بالنصوص الأدبية والدينية استخدمه الكهنة (وهو من اليونانية Hieratikos= كهنوتي)، وآخر استخدم في المعاملات التجارية والحياة اليومية ويسمى : الديموطيقي (من اليونانية Dimotikos = شعبي). ولكن الخط الهيروغليفي احتفظ بمكانته رغم كل شيء، وظل مستخدماً في المعابد وعلى جدر الهياكل لتأريخ مآثر الفراعنة وآثارهم حتى عصر متأخر جداً. ولم تفقد الهيروغليفية مكانتها إلا باستيلاء الرومان على مصر وانتهاء حكم المصريين لبلادهم[59]. وكان لاضمحلال الطبقة الكهنوتية –المثقفة– بعد انتشار الديانة المسيحية في مصر، وتطوير نظام ابسط من الهيروغليفية (النظام الخطي القبطي)، قد أدى كل ذلك إلى توقف استخدام الخط الهيروغليفي القديم. ويرجع تاريخ آخر نص معروف كتب بالهيروغليفية الى سنة 394 م[60]، وجد هذا النص على جزيرة "فيلة" حيث كان ملجأ لكهنة الآلهة "ايزيس"[61].

ب – الخط الهيراطيقي Hieratic : الهيراطيقي كلمة يونانية تعني "الكهنوتي"، سمي بذلك لأنه استخدم من قبل رجال الدين، والهيراطيقية كتابة مختصرة عن الهيروغليفية كون الهيروغليفية كتابة معقدة تأخذ وقتاً وجهداً لكتابتها، فابتكر الكهنة الخط الهيراطيقي منذ عصر المملكة القديمة وكُتبوه على ورق البردي. استخدم هذا الخط في الأمور

[53] Edwards, I.E.S. The Cambridge Ancient History. P.122

[54] خشيم، علي فهمي. آلهة مصر العربية، ص154.

[55] فريدريش، يوهانس. تاريخ الكتابة، ص 57

[56] بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص191.

[57] حماد، محمد. تعلم الهيروغليفية، ص12 .

[58] فريدريش، يوهانس. تاريخ الكتابة، ص57

[59] خشيم، علي فهمي. آلهة مصر العربية، ص153.

[60] بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص193.

[61] جارندر، آلن. مصر الفراعنة، ص40 .

الدينية والأدبية رغبة في انتشار المعرفة بشكل أوسع[62]، وقد ترجم عن هذا الخط العديد من المؤلفات. والجدير بالذكر أن الهيراطيقية ليست كتابة خاصة، بل تعد خط رقعي للهيروغليفية، والفرق بين الاثنين كالفرق بين حروف المطبعة وخط اليد[63]، فقد كتب الخط الهيراطيقي بشكل متصل بوساطة الحبر، من اليمين إلى اليسار، أفقياً أو عمودياً، استخدم فيه مجموعات مختصرة من الرموز الهيروغليفية، ويرجع تاريخ أول وثيقة هيراطيقية مكتشفة إلى الأسرة الخامسة –**[2600] ق.م**– وآخر وثيقة مكتشفة إلى القرن **3م**[64].

جـ – الخط الديموطيقي Demotic: خط مبسط عن الهيروغليفي، استخدم في الحياة اليومية العادية للمصري القديم، وسمي تبعاً ل هيرودوت بـ "الديموطيقي" أي "الشعبي"[65]، وعرف بالمصرية القديمة "**موت رم ن كمى**" أي لسان أهل مصر، وسمي بذلك لأنه انتشر بين المصريين كافة، وقد خُط على ورق البردي، و الإستراكا (الفخار)، وبشكل نادراً على الحجر، واستخدم للأغراض القانونية والإدارية والأدبية..، بينما اقتصرت الهيروغليفية على الأمور الدينية....[66]، يتميز الخط الديموطيقي بحروف مزدوجة شديدة الاتصال، وهناك حقيقة تخص هذا الخط وهي أنه من الممكن أن يقرأ فقط كمجموعات (زمر)، بمعنى آخر أن يقرأ كجملة كاملة، فغالباً ما كانت كلماته المفردة عبارة عن مفردات غامضة وغير مفهومة[67]. ويعود آخر نص ديموطيقي مكتشف إلى عام 476م[68].

د– الخط القبطي Coptic: بعد دخول الإسكندر المقدوني مصر عام 332 ق.م أصبحت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية والسائدة للكلام في مصر، وبعد انتشار الديانة المسيحية نشأ الخط القبطي وهو عبارة عن كلمات مصرية بأحرف يونانية[69]، تضمنت الكتابة القبطية أربعة وعشرين حرفاً يونانياً، مع إضافة ست علامات ديموطيقية لتعويض الأحرف الغير موجودة باليونانية. وقد حل الخط القبطي محل الخط الديموطيقي، لأن النظام الكتابي للخط القبطي أسهل وابسط لكونه أبجدية خالصة تكتب من اليسار إلى اليمين، واستخدم لكتابة النصوص الدينية المسيحية[70].

[62] **زكي، انطون. مفتاح اللغة المصرية القديمة، ص114.**

[63] **حسن، سليم. مصر القديمة،ج2، ص386.**

[64] **بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص199.**

[65] **فريدريش، يوهانس. تاريخ الكتابة، ص58.**

[66] **زكي، انطون. مفتاح اللغة المصرية القديمة، ص117.**

[67] **Baines, John. Literacy and Ancient Egyptian Society.p.595**

[68] **فريدريش، يوهانس. تاريخ الكتابة، ص58 .**

[69] **حماد، محمد. تعلم الهيروغليفية، ص12 .**

[70] **بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص200.**

الشكل رقم (7) العلامات الأبجدية الهيروغليفية، وقيمها الصوتية، ومماثلاتها بالهيراطيقية، والديموطيقية، والقبطية

8- دلالات الرموز الهيروغليفية:

خلدت الكتابة المصرية القديمة أفكار المصريين القدماء الذين مثلوها بالمظهر الصوري الغامض، وليس هنالك من شك أن في هذه الصور المصغرة للبشر، والحيوانات، والنباتات، والأجرام السماوية، والأدوات...، رموز خفية وعميقة، بخاصة أنها غطت جدران المعابد المصرية[71]. فلم تكن الهيروغليفية مجرد وسيلة للتواصل وحسب، بل كانت تملك قوة روحية لم يعرفه أي نظام كتابي آخر، فالحروف الهيروغليفية لكونها صور فهي تحل محل القوة المادية، وكانت في بعض الأحوال تعد ذات تأثير كامن بحسب اعتقاد المصريين القدماء، لدرجة أن الرموز التي تمثل مخلوقات خطيرة كانت أحياناً تشوه لرد خطرها، على سبيل المثال رسمت الأفعى على مصاطب المقابر مع سكاكين تقتلها لكي لا تؤذي المتوفى. أو مثلاً رسم صورة على مصاطب المقابر لرجل يحمل طعام، تساعد مثل هذه الرسمة على تزويد الميت بالقوت الأبدي[72].

تتضمن النقوش المصرية القديمة العديد من صور الحيوانات وذلك لتأثيرها في الحياة العقائدية بكافة مراحلها، إذ كان الحيوان يعبر بصفة رمزية عن بعض صفات وسمات آلهة المصريين القدماء..[73]. أما النبات فيرمز إليها بمثابة

[71] جارندر، آلن. مصر الفراعنة، ص22.

[72] بريور، دوجلاس– تيتر، ايملي. مصر والمصريون، ص205.

[73] تيبو، روبيرت جاك. موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، تر. فاطمة عبدالله محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ت، ص73.

تصوير لدورة الحياة والموت والبعث الذي يمثله رب الزراعة والخضرة "أوزيريس"، فنجد رموز الآلهة تصور بالنقوش إلى جانب مشاهد الأشجار والأدغال[74].

– من رموز الحيوان: أسد، نسر، بومة، أرنب، إوزة، كبش، حصان، عقرب، خنفساء (جعل)، كوبرا، سمك، تمساح، بقرة، ... ومن رموز النباتات : سنبلة القمح، زهرة اللوتس، البردي، الخيزران..[75]

ومن بعض الرموز الهيروغليفية الدالة على معنى عقائدي على سبيل المثال :

الدائرة أي الشمس التي تدل على "رع" رب الشمس، والدائرة رمز هيروغليفي يرتبط بالنور، الشروق، ورمز للحياة المتجددة، وللدورة الكونية.

طائر الإوز يعني ابن، ارتبط برمز الشمس وجاءا معاً تجسيداً للملك المؤله بمعنى أن الملك هو ابن الشمس أي ابن رع .

المياه تعني المياه السماوية الأزلية، خلق الكون، نهر النيل، الزراعة، المحيط، نبع الحياة، برج الدلو.. **الأرنب** هو بمثابة تجسيد لتكاثر وتزايد نتاج الأرض الأم، لذا تبدو أعدادها هائلة في النقوش الهيروغليفية.

الأسد رمز للشجاعة، نُقش بكثرة على جدران المقابر كونه يتمتع بقوة كفيلة بدحر أي مهاجم في العالم السفلي عالم الظلمات[76] .

أسدين يحملان معا الكرة الأرضية وهو من أكثر الرموز الهيروغليفية تعبيراً عن استمرارية دورة الحياة في الكون وفي العالم الآخر، فأسد الغرب يرمز للتجربة الدنيوية، وأسد الشرق يرمز لانتقال الروح إلى لعالم الآخر. فالأسدين رابضين، أحدهما يواجه الغرب حيث تتوارى الشمس وتبدأ رحلتها ليلاً، والآخر يواجه الشرق حيث تشرق الشمس كل صباح من عالم الظلمات، ويظهر هذا الرمز الهيروغليفي حاملاً مركب الشمس كدلالة على رحلة الشمس الليلية في العالم السفلي، والأسدان يحرسان مدخل العالم السفلي ومخرجه[77].

رمز الأفق يدل للمكان الذي تشرق منه الشمس وتغرب من خلاله عن أعين البشر، ويستعان به للإشارة للبيت الملكي أي المكان الذي يستقر فيه رب الشمس رع ليحصل على قسط من الراحة.

الجعل (الخنفساء) من الحيوانات الحامية والراعية للمتوفى، حيث نقش في مصاطب المقابر[78] .

الصقر يمثل الروح ودليل ذلك من اسمه بالمصرية القديمة "با بيث" مكونة من كلمتين با = الروح – بيث = القلب[79] . وعلى هذا اتخذ المصريون القدماء من الطائر المرفرف بجناحيه ليس رمزاً صوتياً هيروغليفياً يقرأ فحسب بل رمزاً للروح، وتفيد "با" بالنسبة للملك معنى السلطة وبالتحديد السلطة المقدسة. وتُظهر رسوم المملكة الحديثة على المقابر وأوراق البردي هذه "البا" في صورة طائر يرفرف فوق مومياءات الموتى، أو يقف على الأشجار المزروعة حول

---

[74] **تيبو، روبيرت جاك. موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، ص167.**

[75] **زكي، انطون. مفتاح اللغة المصرية القديمة، ص77 .**

[76] **تيبو، روبيرت جاك. موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، ص79، ص177، ص10.**

[77] **خشيم، علي فهمي. آلهة مصر العربية، ص306.**

[78] **تيبو، روبيرت جاك. موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، ص15، ص116.**

[79] **جارندر، آلن. مصر الفراعنة، ص 22.**

القبر، وكان المعتقد أن تمكن التعاويذ السحرية "الروح" من أن تتخذ أية صورة تشاء، بالتالي ترجمت "با" بأنها النفس، الروح، فقد صورت فوق التوابيت وجثامين الموتى كإشارة إلى وجود الميت الروحي (او بمعنى آخر إشارة الى الروح التي تحوم حول قبر صاحبها الميت)[80].

الكوبرا ترمز لمصر السفلى (اسفل وادي النيل حيث الدلتا مصب نهر النيل)، ويدمج رمز الكوبرا في تكوين كلمة "إلهة" وغالباً ما كانت الربات الإناث يصورن في صورة أفعى الكوبرا، وتعد الكوبرا الرمز الأشهر لملوك مصر القديمة حيث وضعوه على تيجانهم، والكوبرا ترمز للهمة، التيقظ، القوة، الحيوية، التربص،...[81].

النحلة من خلال الرموز الهيروغليفية والكتابات الجدارية نلاحظ أن النحلة رمزت لمصر السفلى، إذ تجسد هذه الحشرة المبدأ الإلهي للعرش الملكي باعتبارها تاج مصر السفلى ، ملك مصر السفلى، معبودة الدلتا.. كما ترمز للأرواح التي لا تعد ولا تحصى والعاملة في خدمة الآلهة. من الصعب في الواقع فهم سر العلاقة بين النحل والملك إلا على اساس الاسطورة المصرية القديمة القائلة أن رع بكى فهطلت دموعه على الارض نحلاً ، وبذا صار النحل إلهياً مقدساً، أو ربما صار خليفة الإله رع على الارض الملك ابن رع صار "النحلة المقدسة" أو "النحلة الملك"، ونحن الى يومنا هذا لانزال ندعو ملكة النحل بهذا الاسم ولعلها الحشرة الوحيدة التي يطلق عليها لقب الملكة كونها زعيمة مسيطرة فعلياً على نحل الخلية(مملكتها)، بل لعلها الحيوان الوحيد، فالأسد "ملك الغابة" لقب بذلك مجازاً وهو ليس قائد الغابة وزعيمها فعلياً [82].

النحلة والأسلة (نبات الخيزران أو الحلفاء رمز مصر العليا) تبلوران معاً دور الفرعون كحارس للوحدة التي تجمع ما بين مصر العليا ومصر السفلى.

زهرة اللوتس ترمز ل مصر العليا .. وتمثل مولد الحياة في بدايتها، وتجدد الخلق، وتعد من أكثر النبات تعبيراً و إلهاماً للفكر الرمزي المصري (عند الغروب تلملم أوراقها بشجن واستسلام، وما أن يبزغ الفجر حتى تتجه فرحة مستبشرة نحو الشمس وتتفتح أوراقها بخشوع كأنها تصلي).

نبات البردي رمز مصر السفلى، ورمز للحياة المنبثقة من المحيط الأزلي حيث بداية الخلق. وترمز باقة من نبات البردي على مكان الخلق والمولد الجديد نسبة للرب "حورس" الذي ولد في إحدى مستنقعات البردي (المعبود الأول لملوك مصر والذي منحهم عرش مصر).

الريشة إحدى رموز "ماعت" ربة العدالة وهي ترمز للصدق، العدالة، الحقيقة، وضياء الشمس أي المعرفة[83].

[80] خشيم، علي فهمي. آلهة مصر العربية، ص332.

[81] تيبو، روبيرت جاك. موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، ص71.

[82] خشيم، علي فهمي. آلهة مصر العربية، ص334.

[83] تيبو، روبيرت جاك. موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية، ص174، ص34، ص 102، ص92.

خاتمة

من خلال ما تقدم نجد أن دراسة الهيروغليفية تعود بفائدة كبيرة على الباحثين في تاريخ مصر القديمة وآثارها، كونها تعد من بين أهم الكتابات في التاريخ القديم. وعلى الرغم من اختلاف الفرضيات حول أصولها وأقدميتها إلا أن الأهم من ذلك هو ما قدمته هذه الكتابة للحضارة المصرية وللباحثين فيها، فقد أطلعتنا على أهم الأحداث في وادي النيل وعلى عادات وعقائد المصريين القدماء ومنجزاتهم الحضارية. وبصفة عامة تتبع معظم صعوبات فك طلاسم الهيروغليفية من حقيقة أن نظامها الكتابي يجمع بين علامات صوتية وأخرى غير صوتية (تكتب ولا تلفظ)، فعلى الرغم من أن الهيروغليفية المصرية كتابة قديمة تختلف عن اللغات الحديثة المكتوبة، إلا أنها تمتلك نظام كتابي معقد إلى حد ما، وأحرف ذات دلالات رمزية خفية.

الشكل رقم(8) خريطة تمثل مصر القديمة بجزأيها مصر السفلى ومصر العليا

Reference:

1- Ahmad Sadek, Saaed. Egypt's Socio-Economic History. Ebn Khaldon House. Beirut. 1st. ed.1979 . (In Arabic)
2- Al-suifi, Mokhtar. Egypt and the Nile. The Egyptian Lebanese House. Cairo. 2nd.ed.1988. (In Arabic)
3- Arlette, David. Identification in Ancient Egypt (2500-1100 BC). Hebrew University of Jerusalem. Article.2011.
4- Baines, John. Literacy and Ancient Egyptian Society. Source: Man, New Series, Vol. 18, No. 3, pp. 572-599. Oxford university press. 2007.
5- Edwards, I.E.S. The Cambridge Ancient History: prolegomena and prehistory. Cambridge university press. (VI/.PI, 2008).
6- Frankfort, Henry. The dawn of civilization in the Near East. Tr. Mikhail Khory. Library of Al-hayat House. Beirut. (In Arabic)
7- Fredrech, Johanss. History of Writing. Tr. Suleiman ALddaher. Syrian General Book Authority. Damascus. 2nd.ed. 2013. (In Arabic)
8- Gardner, Alan. Egypt of Pharaohs. Tr. Najeeb Ibrahim. Egyptian General Book Authority . Cairo. 1973. (In Arabic)
9- Ghasheem, Ali Fahmi. Gods of Arabic Egypt. Vol 1. Jamahiriya Publishing House. Masratah. 1990. (In Arabic)
10- Hammad, Mohammad. Learn Hieroglyphs. Egyptian General Book Authority .Cairo.1991. (In Arabic)
11- Hassn, Saleem. Ancient Egypt. P2. Egyptian General Book Authority.Cairo.1992. (In Arabic)
12- Makkawe, Fwzi. People in Ancient Egypt. Al-nahdah Library.Cairo. (In Arabic)
13- Nor Al-dden, Abd Al-haleem. History and Civilization of Ancient Egypt.Cairo. 2003. (In Arabic)
14- Prior, Douglas & Teeter, Emily. Egypt And Egyptians, Tr. Aatef Mootamd, Mohammad Rzk, Alshrok national, Cairo, 1st. ed. 2009. (In Arabic)
15- Roblkaba, Jell. National Geographic. Tr. Mohammad Ibrahim. Renaissance Egypt for printing and publishing. Cairo. 1st. ed. 2008. (In Arabic)
16- Saleh, Abd Al-azez . Ancient Civilization and Its Effects. P1. Egyptian Anglo Library. Cairo. 1992. (In Arabic)
17- Teboo, Ropert Jack. Encyclopedia of Pharaonic Myths and Symbols. Tr. Fatimah Mahmoud . Egyptian General Book Authority. Cairo. (In Arabic)
18- Zaki, Anton. The key To The Ancient Egyptian Language. Madbolly's library. Cairo. 1st.ed. 1997. (In Arabic)